

ملاح من النشاط العلمي لبعض علماء اللغة العربية في العصر المملوكي

إعداد

د. أحمد حسن

جامعة الإمام المهدي

ABSTRACT

The aim of this research is to shed light on the Mamluk era and follow the researcher historical method and descriptive and analytical included research plan. The important results were interest of Mamluk in the religion science from primitives, examines the jurisprudence of the four schools and their assets, then the lessons of the modern, and interpretation, and mysticism, medicine, engineering, history, calendar, and the science of the Arabic language has emerged in which scientists enriched the scientific life in exchange grammar, literature, poetry and art messages and writing. That the creation of the role of education, is a major cause, to activate the scientific movement, especially Arabic language also helped by the fact that Mamluk sultans resided great weight to religious scholars and professors cared choosing, who are notorious for good science and biography. He was a student leaves his penchant for private and personal capacity, then the student is given personal certificates, granted by one of the senior scientists. Also supplied most of the schools and mosques, which was established in this era wardrobe wrote Nafie.

المستخلص

يهدف هذا البحث الموسوم إلى تسليط الضوء على الحياة العلمية في العصر المملوكي واتباع الباحث المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي. من أهم النتائج كان في العصر المملوكي الاهتمام بعلوم الدين من الأوليات، فيدرس فقه المذاهب الأربعة وأصولها ثم دروس الحديث، والتفسير، والتصوف، والطب، والهندسة، والتاريخ، والتقويم، والرياضة. كما اهتموا بعلوم اللغة العربية وبرز فيها علماء أثروا الحياة العلمية في الصرف النحو والأدب والشعر وفن الرسائل والكتابة. إن إنشاء دور التعليم، يعتبر سببا أساسيا، لتنشيط الحركة العلمية خاصة علوم اللغة العربية كما ساعد على ذلك أن سلاطين العصر المملوكي أقاموا وزنا كبيرا لعلماء الدين وأهتموا باختيار الأساتذة، الذين اشتهروا بالعلم والسيرة الحسنة. وكان الطالب يترك لميله الخاص، وقدرته الشخصية، ثم يعطى الطالب شهادات شخصية، يمنحها احد كبار العلماء. كما زودت معظم المدارس والمساجد، التي أنشأت في

هذا العصر بخزانة كتب نافع .

مقدمة إن سلاطين العصر المملوكي، قاموا وزنا كبيراً لعلماء الدين، ومن أمثلة ذلك أن الظاهر بيبرس، حضر مرة إلى دار العدل، في قضية بينه وبين احد الأمراء، أمام القاضي فقام له الناس تعظيماً، إلا القاضي، فقد أشار إليه بالجلوس. كما نقل أن أحد العلماء، حضر مرة عند السلطان لاجين، فقام إليه السلطان، وقبل يده. والأمثلة على ذلك كثيرة (1)

اهتم سلاطين المماليك بدور التعليم فاهتموا بديوان الأقباس "الأوقاف" للإشراف على المدارس والجوامع، والمساجد، والربط، والزوايا، والعقارات المحبوسة عليها، والإحسان على الفقراء والمساكين. ويشرف "ناظر الأوقاف الأهلية" على الخوانق، المدارس، والجوامع، والمقابر (2)

إن إنشاء دور التعليم، يعتبر سبباً أساسياً، لتنشيط الحركة العلمية، وتتمثل دور العلم، في العهد المملوكي، في: المدارس، والمساجد، وأربطة، وزوايا، وكانت إلى جوارها مكاتب صغيرة ومساكن، متواضعة، ملحقه بها، تعنى بتعليم الصبية: مبادئ القراءة، والكتابة، من التعليم، له عدة مزايا منها: ترك الطالب لميله الخاص، وقدرته الشخصية، ثم يعطى الطالب شهادات شخصية، يمنحها احد كبار العلماء، ويشهد فيها بأن الطالب مهر في علم معين، وأصبح أهلاً للفتوى، وكان يعين لكل مادة مقررة أستاذ، وكان لبعض الأساتذة معيدون، يعاونوهم في عملهم الشاق (3)

في عصر المماليك لم تتخذ سياسة تعليمية تتكفل فيها الدولة بنفقات التعليم بل كانت سياسة التعليم فردية وأدى ذلك إلى إنشاء أوقافاً منها ما أوقف على الأزهر عام "665هـ/ 1267م وما أوقف على مسجد الحاكم، وقد أوقفت أوقافاً كثيرة يضيق المجال عن ذكرها (4)

زودت معظم المدارس والمساجد التي أنشأت في هذا العصر بخزانة كتب نافعة وكان بعض السلاطين مغرمين باقتناء الكتب النفيسة وكذلك كان كثيراً من العلماء والأمراء، و من دور الكتب التي عرفت في العصر المملوكي: **خزانة كتب المدرسة الظاهرية البيبرسية** التي أنشأها الظاهر بيبرس عام "662هـ/ 1263 م"، و**خزانة كتب جامع الحاكم** والتي زودها بها الأمير بيبرس الجاشنكير عام "703 هـ/ 1303"، و**خزانة الكتب بالمدرسة الناصرية** التي بدأها كتبغا، وأكملها الناصر محمد

(1) السيوطي: حسن المحاضر في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1967م، ج2، ص 13، 74.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1963م، ج4، ص38. المقرئزي: المواعظ والاعتبار، مصر، 1325 هـ، ج2، ص294، 296.

(3) السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى، مصر، 1324هـ ج5، ص2. صارم الدين إبراهيم: النفحة المسكية في الدولة التركية، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ص66.

(4) د. حياة ناصر الحجي: السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، مكتبة الفلاح، الكويت، 1983م، ص108-109.

بن قلاوون عام "702 هـ / 1302م⁽⁵⁾.

أهتم السلاطين والأمراء باختيار الأساتذة، الذين اشتهروا بالعلم والسيرة الحسنة، ولقد مهدت الحوادث التي سبقت هذا العصر، كالحروب الصليبية، لحدوث ردود فعل في نفوسهم، فدفعهم ذلك إلى التمسك بعلوم الدين، فكان الاهتمام بعلوم الدين من الأوليات، فيدرس فقه المذاهب الأربعة وأصولها ثم دروس الحديث، والتفسير، والنحو والصرف، والتصوف، والأدب، والطب، والهندسة، والتاريخ، والتقويم، والرياضة⁽⁶⁾.

قد عني بعض أهل العلم بذكر المساجد ودور التعليم فنذكر منها .:

أولاً: جامع عمرو بن العاص:

أسسه عمرو بن العاص^(*). رضي الله عنه. وهو أول مسجد أسس في مصر وقد عقدت فيه الدروس الدينية، والأدبية⁽⁷⁾.

ثانياً: جامع ابن طولون :

بناه احمد ابن طولون^(*) "وقد عني به في العصر المملوكي وأوقف عليه أوقافاً ثمينة، ورتب فيه دروس: التفسير، والحديث، والفقه على المذاهب الأربعة، والقراءات، والطب⁽⁸⁾.

ثالثاً: الجامع الأزهر

بناه جوهر الصقلي^{*}،. وجدد في عصر السلطان بيبرس، فأقيمت جدره الواهية، وبنيت له مقصورة، وأعيدت إليه صلاة الجمعة، ثم أعيد ترميمه عام 702هـ/1302م⁽⁹⁾.

(5) المقرئزي: المواعظ والاعتبار، مصدر سبق ذكره ج4، ص58.

(6) المصدر السابق ج4، ص223.

(*) عمرو بن العاص صحابي جليل، شهد اليرموك، وولاه عمر فلسطين والأردن، ثم فتح مصر عام 21هـ/، بني هذا المسجد الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، القاهرة، 1962م، ج3، ص3.

(7) المقرئزي: المواعظ والاعتبار، مصدر سبق ذكره، ج4، ص5

*أحمد بن طولون التركي العباس أمير الشام والثغور ومصر وولاه المعزز بالله مصر ثم استولى على دمشق والشام وأنطاكية والثغور. وكان أحمد بن طولون عادلاً جواداً شجاعاً متواضعاً حسن السيرة ويعمر البلاد ويتفقد أحوال رعاياه ويحب أهل العلم. وبنى الجامع المنسوب إليه بظاهر القاهرة ه في سنة ست وستين ومائتين. وتنتقلت به الأحوال إلى أن ملك مصر وعمره أربعون سنة أربع وخمسين ومائتين فملكها بضع عشرة سنة ولد في شهر رمضان سنة عشرين ومائتين وكان أبوه مملوكاً أهدي إلى المأمون في جملة رقيق ومات طولون سنة أربعين ومائتين وقيل سنة ثلاثين الصفي، صلاح الدين خليل: الوافي بالوفيات، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1974م، ج1، ص870. (8) السيوطي: حسن المحاضرة، مصدر سبق ذكره ج1، ص262. و ابن دقماق صارم الدين إبراهيم بن محمد، الإنتصار بواسطة عقد الأمصار، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 2013م، ج4، ص122. المقرئزي: المواعظ والاعتبار مصدر سبق ذكره، ج4، ص38) 45

(*) جوهر أبو الحسن القائد الرومي المعروف بالكاتب مولى المعز أبي تميم قدم من المغرب جهّزه المعز إلى ديار مصر في الجيوش والأهبة الوافرة في سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة فاستولى على إقليم مصر وبنى القاهرة وكان عالي الأمر نافذ الكلمة الصفي، صلاح الدين خليل: الوافي بالوفيات، مصدر سبق ذكره، ج1، ص.

رابعاً: جامع الحاكم

أسس في الدولة الفاطمية، ولما تهدم إثر زلزلة 702 هـ / 1302 م، جده السلطان المملوكي في ذلك الوقت، ورتب فيه دروساً على المذاهب الأربعة، والحديث، والنحو، والقراءات، وأوقف عليه أوقافاً عدة، وكان بجانبه مكتب لتعليم الأيتام.⁽¹⁰⁾

خامساً: المدرسة الصلاحية : أنشأها صلاح الدين الأيوبي عام 572 هـ / 1176م وقد عاشت هذه المدرسة، في العصر المملوكي مدةً طويلةً.⁽¹¹⁾

سادساً: المدرسة القمحية:

أنشأها صلاح الدين الأيوبي، عام 566 هـ / 1170م، وخصصت لفقهاء المالكية.⁽¹²⁾

سابعاً: المدرسة السيوفية

أسسها صلاح الدين الأيوبي، وهي أول مدرسة وقفت على الحنفية، بديار مصر.⁽¹³⁾

ثامناً: المدرسة الفاضلية:

أنشأت عام 580 هـ / 1184م ورتب فيها للقراءات، وفقه الشافعية، والمالكية، وأوقف عليها مائة ألف مجلد. وظلت تعمل حتى عام 694 هـ / 1294م.⁽¹⁴⁾

تاسعاً: المدرسة الصالحية:

أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 639 هـ / 1241م وتتكون من أربعة مدارس، كل مدرسة لمذهب من المذاهب الأربعة.⁽¹⁵⁾

عاشراً: المدرسة الكاملية :

أسسها الملك الكامل، ناصر الدين محمد بن العادل الأيوبي الملك الخامس من ملوك بني أيوب الذي توفي عام 635 هـ ، وتعرف بدار الحديث.⁽¹⁶⁾

⁽⁹⁾ المقرئزي: المواعظ والاعتبار ، مصدر سبق ذكره ج4 ، ص 51 (58).

⁽¹⁰⁾ السيوطي : حسن المحاضرة : ، مصدر سبق ذكره ص55.

⁽¹¹⁾:المصدر السابق ، ص157.

⁽¹²⁾ المقرئزي :، المواعظ والاعتبار مصدر سبق ذكره ج4 ، ص 192

ابن دقماق : الانتصار مصدر سبق ذكره ، ج4 ، ص95

⁽¹³⁾ المقرئزي : ،، المواعظ والاعتبار مصدر سبق ذكره ،ج4، ص 204

⁽¹⁴⁾:المصدر السابق ،ج4، ص (304) 206 .

⁽¹⁵⁾ السيوطي : حسن المحاضرة مصدر سبق ذكره، ج 2 ، ص 159

⁽¹⁶⁾ المقرئزي : ،، المواعظ والاعتبار مصدر سبق ذكره ، ج4 ، ص219 .

إحدى عشر: المدرسة المعزية:

بنييت عام "654هـ / 1256م (17).

اثني عشر: المدرسة الظاهرية:

أنشأت ، سنة "662هـ / 1263م، وأوقف عليها أوقافاً كثيرةً ، وألحق بها خزانة كتب، تشمل على أمهات الكتب ، من شتى العلوم. وبنى بها مكتباً لتعليم الأيتام ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، ورتب فيها دروساً ، على المذاهب الأربعة. (18)

ثلاثة عشر: المدرسة المنصورية. رتبت فيها دروساً، في المذاهب الأربعة، ودرسا في الطب. (19)

رابع عشر: المدرسة صاحبية البهائية:

أسست عام "654 هـ / 1256 م " (20).

خامس عشر: القبة المنصورية والمارستان المنصوري:

كانت القبة المنصورية ،تجاه المدرسة المنصورية ،داخل المارستان المنصوري، بنييت عام 682هـ / 1283م وقد رتبت فيها دروس، على المذاهب الأربعة، ودرس في الحديث والتفسير. (21)

سادس عشر: المدرسة الناصرية:

أسست ، عام 703 هـ / 1303م، فكان يلقي فيها درس، لكل واحد من المذاهب الأربعة. (22)

سابع عشر: المدرسة الطبرسية

انتهت عمارتها عام 709 هـ / 1309م ، وقرر بها درساً للشافعية. (23)

ثامن عشر: المدرسة الحسامية :

(17) ابن دقماق : الانتصار ، مصدر سبق ذكره ج4 ، ص92 .

(18) المقرئزي :المواعظ والاعتبار، مصدر سبق ذكره ج4 ، ص 224 (225

السيوطي : حسن المحاضرة ، مصدر سبق ذكره ج2 ، ص160

(19) المقرئزي : السلوك ، مصدر سبق ذكره ج4 ، ص 226

السيوطي :حسن المحاضرة مصدر سبق ذكره، ج2 ، ص160

(20) المقرئزي : ، السلوك مصدر سبق ذكره،ج4 ، ص 211 (213

(21) السيوطي :حسن المحاضرة ، ج2 ، ص160

*تملك الديار المصرية سنة وعشرين يوماً،بعد أن خلع الملك الناصر سنة 694هـ / 1295م ، وخلع هو في عام 696هـ / 1297م.

ابن دقماق :النفحة المسكية في الدولة التركية ، المكتبة العصرية ،بيروت ،1420هـ، ص 98 ، 99 .

(22) المقرئزي :المواعظ والاعتبار ، ج4 ، ص : 224 ، 229 ، 230 ، 267

(23) ابن دقماق : الانتصار مصدر سبق ذكره ، ج4 ، ص 96

خصصت للفقهاء الشافعي، وقد استمرت في العهد المملوكي الثاني.⁽²⁴⁾

تاسع عشر: المدرسة المنكوتيرية:

بنييت عام 698هـ/ 1299م ورتب فيها درس "للمالكية، وللحنفية" وزودت بخزانة كتب.⁽²⁵⁾

عشرون: المدرسة القراسنقرية:

بني بجوارها مكتبة لإقراء الأيتام المسلمين، كتاب الله العزيز.⁽²⁶⁾

أحدى وعشرون: المدرسة الجاولية:

أنشأت، عام 723 هـ/ 1323م ورتب لها دروساً في الصوفية.⁽²⁷⁾

إن علوم العربية من أهم الأدوات لفهم الدين، ولقد كان الإنشغال بها منذ صدر الإسلام، وليد العناية بالدين، وقد غلب على بعض العلماء في العصر المملوكي **الإنشغال** باللغة العربية وفنونها

وسنذكر فنون اللغة العربية وأهم الرجال الذين برزوا في هذا المجال

(1) ازدهار فن الكتابة والرسائل في عهد المماليك

كانت مهمه ديوان الإنشاء: تبادل المكاتبات الرسمية الخاصة بالدولة، وهي الماكتبات التي ترد إلى السلطان وإعداد الردود عليها فضلاً، عن إعداد الرسائل التي يبعث بها السلطان إلى مختلف الدول، كما كان الأمين على أسرار الدولة، وروعى في إختياره أن يكون فصيح اللسان، أصيلاً في قومه، وقوراً حليماً، وكان يحضر بحكم منصبه اليمين التي يؤديها الولاة والحكام والأمراء، عند تعيينهم في مناصبهم، ويكتب المراسيم الخاصة بتولى هذه المناصب.⁽²⁸⁾

كان لصاحب الإنشاء أعوان منهم: أولاً: "نائب كاتب السر" الذي ينوب عن "ناظر الديوان" في حالة تغيبه لحضور مجالس السلطان ثانياً: "كاتب الدست الشريف"

ويلى "نائب كاتب السروهم الكتاب الذين أطلق عليهم "الموقعين" لأنهم يوقعون على الشكاوى المرفوعة إلى كاتب السر وتوزعت أعمال الديوان على هؤلاء²⁹

⁽²⁴⁾المقريزي: المواعظ والاعتبار مصدر سبق ذكره، ج4، ص 236

⁽²⁵⁾ ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سبق ذكره، ج13، ص .

⁽²⁶⁾المقريزي: المواعظ والاعتبار، مصدر سبق ذكره، ج4، ص 240

⁽²⁷⁾المقريزي: المواعظ والاعتبار، مصدر سبق ذكره، ج4، ص 240.

(28) الخالدي: محمد بن لطف الله، المقصد الرفيع... دار الكتب والوثائق، القاهرة، 2009م ص 120، 134.

(29) الفلقشندي: صبح الأعشى، مصدر سبق ذكره، ج1، ص 138.

(3) الدوار: كما إرتبط بكاتب السر موظف كبير إسمه "الدوادر"* وهو الذى يقوم بتبليغ الرسائل من والى الأمير، وويقيدها و يختمها بختم الدولة.³⁰

(4) حامل المذرة: ولى الدوادر في الرتبة "حامل المذرة" وينوب عنه إذا غاب، ويقوم بترتيب الأوراق بعد إعتماها من السلطان.⁽³¹⁾

وكان للدوادر غير حامل المذرة أعوان يطلق على كل واحينهم الدوادر أيضاً مع التميز العددي فيقال الدوادر الثاني والدوادر الثالث كما يعاون كاتب السر عدداً من الموظفين اطلق عليهم إسم المدرا (جمع مدير) يدورون على بيوت الكتاب لإحصاء ما عندهم من الكتابة المتعلقة بالديوان.⁽³²⁾ ومن الكتاب بديوان الإنشاء "كتاب الدرج" ومهمتهم الإطلاع علنا لملاحظات التى يبيدها كاتب السر أو أحد كتاب الدست أو نائب السلطنة على المكاتبات والرد عليها، وسموا بذلك لتحريرهم كتبهم علي دروج والمراد بالدرج الورق المستطيل المركب من عدة أوصال وهو عباره عن عشرين وصلاً متلاصقة⁽³³⁾

وكان يستعمل ثلاث أنواع من الأوراق الورق البغدادي وكان يجلب من مدينة بغداد والورق الشامي . منه الحموي الذي يجلب من حماة وورق الطير. وكان رقيق جداً بحيث يمكن وضعه تحت إجنحة الطير . والورق المصري

ومن الإدارات التابعة لديوان الإنشاء إدارة البريد فقد رتبها السلطان بيبرس سنة 669هـ ووضع لها نظاماً ربط به جميع مملكته بشبكة من خطوط البريد البري والجوي فنظم البريد البري بواسطة الخيل حيث أسس على الطريق كثيراً من المحطات بها سكن للموظفين ليزودوا البريديين بما يحتاجون إليه من ماء وطعام⁽³⁴⁾

وكان للبريد الواح من الفضة حفظت بديوان الإنشاء، وبكل لوح من هذه الألواح ثغب به شراية صفراء من الحرير، تربط حول عنق البريدي، وهذه الشارة تميز البريدي عن سائر موظفي الدولة

(*) الدوادر إسم مكون من لفظين أحدهما عربي وهو الدوا، والثاني دار ومعناها ومعناها ممسك ،فيكون معناها ممس الدوا، وحذفت الكلمة من آخر الكلمة إستقلالاً.

القلقشندي : صبح الأعشى ، مصدر سبق ذكره، ج 1 ، ص 138 .

(30) المصدر السابق ، ج 1 ، نفس الصفحة .

(31) الخالدي : المقصد الرفيع ، مصدر سبق ذكره، ص 119 .

(32) المصدر السابق، ص 120 .

القلقشندي : صبح الأعشى ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 138 .

(33) المصدر السابق ، ج 1 ، ص 138 . (أذكره)

(34) القلقشندي : صبح الأعشى ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 14 ، ج 14 ، ص 272 . المقرئزي : المواعظ والاعتبار ، مصدر سبق ذكره، ص 120 . ج 2 ، ص 211 . ابن إياس، زين العابدين محمد بن أحمد ، بدائع الزهور ، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1975م . ج 1 ، ص 108 .

، وكان للبريديين رئيس مباشر أطلق عليه إسم "مقدم البريديه" ويليه في الرتبة سبع من الموظفين أطلق عليهم إسم "المقدمين" يتولى كل منهم أعمال البريد يوماً في كل أسبوع ويعرض أعماله في نهاية كل يوم على مقدم البريديه (35)

لم يقتصر سلاطين المماليك على "البريد البري" بل إستخدموا "البريد الجوي" واستخدموا في ذلك "الحمائم الزاجل" فإذا أراد السلطان إرسال رسالة مع الحمام، وضعها تحت جناحه، فإذا وصل إلى المحطة التالية نزع البراج الرسالة ، وعلقها في جناح طائر آخر، فيوصلها إلى المحطة التي تليها، ويميز حمام البريد السلطاني بعلامات خاصه: كبصم منقاره، أو قص ريشه بنظام معين. (36)

ازدهر فن الكتابة والرسائل في هذا العصر ، وبلغ كتابها مكاناً رفيعاً لدى سلاطين المماليك، واستحدثت المماليك إلى جانب صاحب الديوان، كاتب السر أو رئيس الديوان السلطاني، وتنافس على هذا المنصب كبار كتاب الدولة، وأشهر من تولاه ابن عبد الظاهر ، وابن فضل الله العمري، وعلاء بن الأثير. وكانت رسائل الديوان متعددة الموضوعات، والمناسبات فمنها.

ما يتبادله الملوك والسلاطين فيما بينهم من مهام الأمور، وحفظت لنا مصادر العصر مجموعة كبيرة منها . ومنها رسائل صداقة وتبادل التهاني . ومنها رسائل الوعيد والإنذار، ومن هذه الرسائل رسالة لمحبي الدين بن عبد الظاهر، من السلطان قلاوون ، وعلى لسانه، إلى السلطان أحمد غازان سلطان النتر ، ردا على رسالة منه في طلب الهدنة والسلام (37) ،

ومنها كتاب العهود والمعاهدات ،مثل كتاب لتاج الدين بن الأثير كاتب سر السلطان منصور قلاوون ،كتب به سنة 678هـ ،بعد فتح طرابلس بالشام، إلى ملك اليمن ، يعرفه بهذا الفتح العظيم ، ومنها الرسائل التي تتصدي لحالة اجتماعية، أو إبطال أمر قبيل ،ومثالها: ما كتب به محبي الدين بن عبد الظاهر، من رسالة يأمر بإبطال الحشيش بعد الخمر ، ففي هذه الرسائل يلاحظ السجع، والتورية، والافتباس وخاصة من القرآن (38) .

ومنها رسائل الوصف ومن أمثلتها: رسالة كتبها أبو الخصال، يصف فيها سراج، وتتميز رسالته بكثرة استخدام التشبيه، واحتفظ بالسجع والجناس ،(والريح تلعب بالسراج وتصلو عليه صولة

(35) القلقشندي : صبح الأعشى ، ، مصدر سبق ذكره ، ج 1 ، ص 114 (115).

(36) المقرئزي : الواعظ والإعتبار ، ، مصدر سبق ذكره ، ج 2 ، ص 231.

(37) ابن عبد الظاهر فتح الدين ،محمد بن عبد الله : تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، الشركة العربية ، القاهرة ، 1961م ، ص 11/10.

(38) ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية ،بيروت ، 1992م ، ج 7 ، ص 323 و ج 8 ، ص 144.

الحجاج ... ليلها من حسنها نهار ... ويقوسه حاجب فتاة ذات غمزات ... وتسل روحه من ذباله) ³⁹. وكذلك وصف أحدهم مجلس الخمر فيصف عذراء بأنها (مصونة كالدرة المكنونة فتانة مفتونة كأن على خدها فوق وردة ياسمينية) ⁴⁰.

كذلك وصف عمر بن الوردى الديك في قصيدة سماها منطق الطير (فصاح الديك: ها أنا أناديك، أنا قد أذنت ، فأقم الصلاة أنت وأعرف المواعيد بغير الاضطراب أنهاكم عن معصية الله كم منحت أهل الدار إخواني وهم يذبحون أبناءي ، ويستحيون نسائي) ⁴¹.

وكذلك وصف البيغاء، ومنها أيضاً ومنها الرسائل الماجنة ، ومنها رسائل الإخوانيات: وما يتصف بها من الإسراف في عبارات المجاملة ، ومن هذه الرسائل الرسالة التي أرسلها شرف الدين عيسى بن حجاج* ، إلى الوزير الكاتب فخر الدين بن مكناس، أحد أعلام الكتابة في القرن الثامن الهجري والذي قال فيها (أبفاك الله للأولياء الذين يحبون وجودك ويستمتطرون كرمك ووجودك) ⁴²

ومنها رسائل الرثاء، منها رسالة ابن الوردى ، يرثى الإمام البارزي* ، الفقه الشافعي، وكتب بها إلى ابنه يقول : " فالعلوم تبيكه ، والمحاسن تعزى فيه ، والبر والحكم ينعاه ، والأقلام تمشي على الرعوس فقده ، والمصنفات تلبس حداد المداد من بعده " ⁴³

(2) المقامات

المقامة كما عرفها الهمداني، والحريري قصة قصيرة ، يتلاعب فيها الكاتب بمقدرته التعبيرية، ويرصعها بضروب من البديع، ولكن في العصر المملوكي لم يلتزم الكتاب بأصولها، وحافظت على الشكل المسجوع ، وعبر بها بعض الكتاب عن همومهم أو أفراحهم في ثوب قصصي، كذلك استغلت في الوعظ الديني، وفي اللهو والإضحاك، ورسم الصورة الهزلية لشخصيات، أو معالم في المجتمع. **واشهر كتاب المقامات** : صلاح الدين الصفدي ، وعمر ابن الوردى ، شهاب الدين التلمساني ، ما كتبها حاتم بن أحمد الفرجوطي " روي في الأخبار عن حاتم العطار قال : ضربت بظاهر بعض الأمصار فإذا هي روضة قد زهت أوساق بواسقها وذلك قطوفها وجلت عن الإحصاء صنوفها

³⁹ الغزولي، على بن عبد الله، مطالع البدر في منازل السرور، مطبعة دار الوطن ، القاهرة، 1981م، ج1، ص 88

40 (الغزولي : مطالع البدر ،مصدر سابق، ج1، ص152

41 المصدر نفسه، ج1 ، ص 75 (أنكره)

42 المصدر السابق : ص 81

⁴³ ابن الوردى، عمر بن المظفر : تنمة المختصر في أخبار البشر " تاريخ ابن الوردى "، دار المعرفة ،بيروت، 1970 م ، ج2 ، ص 321

وصفت جداولها وزممت على إيقاع الأوتار بلابلها وأخذ بها الهزار في الهزيل⁴⁴

ومن المقامات ما يتصل بموضوع أو مناسبة، ونذكر مثلاً مقامة ابن الوردي في الطاعون، الذي اكتسح مصر والشام عام "749 هـ" فيقول " خمسة عشر سنة دائر، ما صين عنه الصين ، ولا منع حصن حصين ، سل هندياً في الهند ، واشتد على السند ، وقبض بيديك وشبك على إزبك إلى أن يقول " قهر خلقاً بالقاهرة ، وتنبهت عين مصر فإذا هم بالساهرة، وأسكن حركة الإسكندرية" كذلك وصف الشيخ جمال الدين عمرا لحالة لما هجم التتر علي بلاد المسلمين " وخفيت آثار المآثر ، وطفنت أنوارا لمنابر وطمست ، وحلبت العيون ماءها على حلب وتخربت الدور والقصور ونحرت الحور في النحور ورفعت الصلبان على المساجد ووضعت الأديان والمعابد حتى بكى على الوجود الجامد⁴⁵

(3) المواعظ والنصائح الدينية

من أشهر ما كتب في هذا الموضوع من الرسائل والكتب كتابان أحدهما: لتقي الدين السبكي وهو " معيد النعم ومبيد النعم " فهو كتاب جليل ، موضوعه يدور على النقد الاجتماعي البناء، ومعالجة الانحراف القائم في عصره، مع تحليل للنشاط الإنساني، والعلاقات الاجتماعية، ويقوم الكتاب على أساس الإجابة على سؤال " هل من طريق لمن سلبت منه نعمة دينية أو دنيوية، إذا سلكها عادت إليه وردت عليه؟ " ويجيب عن هذا السؤال في أن الطريق ينطوي على ثلاث نقاط هي: التوبة ، والرضا ، والتضرع إلى الله أن يكشف المحنة كما تكلم عن وظائف السلطان ويسترعى في أسلوبه الجرأة في قول الحق⁴⁶

خامسا: دور الشعراء في نهضة اللغة العربية في هذا العصر

نبغ في هذا العصر جماعة من الشعراء من مصر والشام والعراق والمغرب ومن فرسان الحلبة المصرية منهم :

أولهم : أبو الحسن الجزار، جمال الدين يحيى بن عبد العظيم

ولد بالفسطاط سنة "601هـ"، وتوفي سنة "672هـ" ، وكان والده يعمل بالجزارة، وقد اجتمع بجماعة من مشاهير العصر، ومدح الملوك والوزراء، ووصفته بعض المصادر بالمجانة، وله شعر

(44) الدفوي، كمال الدين بن فضل جعفر بن ثعلب، الطالع السعيد الجامع أسماء أنجباء الصعيد ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966م ، ص 188/187

(45) ابن الوردي : تنمة المختصر .. "تاريخ ابن الوردي: ج 2 ، ص 216

46 السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي ، معيد النعم ومبيد النعم ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1948م ، ص 48

في الغزل والخمريات.⁴⁷

ثانيهم: سراج الدين الوراق: عمر بن محمد بن حسن

ولد سنة "615هـ" بالقاهرة، وعاش فيها، وكان مطبوعاً على الدعابة، والفكاهة، وبراعة النكتة، وتولى كتابة الدرج، وكان شاعراً أكثر، متصرفاً في فنون البلاغة، وشارك بشعره في أحداث عصره، وكان في شعره الغزل، وشكوي ممدوحيه، وتناقلهم، وجمودهم، وشكى الفقر، وشارك في المناسبات، فقال شعراً في افتتاح المدرسة الظاهرية سنة "662 هـ"، توفي سنة "695هـ" ⁴⁸

ثالثهم: الحمامي نصير الدين: أحمد بن علي المناوي المصري

ولد سنة "619 هـ" / "وعمل بالقاهرة، وهو ثالث الثلاثة الظرفاء، الذين تلازموا، وتطارحوا الشعر، نظم في الخمر والغزل، توفي سنة "708هـ" / " ⁴⁹.

رابعهم: ابن النقيب نصر الدين الحسن بن شاوور بن طرخان بن الحسن

كان من شعراء القاهرة المعدودين، في القرن السابع الهجري، وشعره جيد، وكان من فضلاء الأديباء، وألف من الكتب: " منازل الأحباب ومنازة الألباب " وكانت له قصائد يشكو فيها الفقر، وألف شعرا في الهجاء، واقتبس من القرآن وقصصه، وكان تجمعته بالسراج صداقة، توفي سنة "687هـ" ⁵⁰

خامسهم: ابن دانيال : شمس الدين محمد بن دانيال الحكيم الكحال

ولد بالموصل سنة "646هـ" توفي سنة "708هـ" " جاء إلى مصر في عهد السلطان بيبرس، وعمل كحالا بسوق القاهرة، وكان طيب العشرة، واشتهر بسخريته الضاحكة حتى في مجالس السلاطين، واتصل بالأشرف خليل بن قلاوون، وكان كثير المجون، وكان يصور بعض أحداث عصره، وله الشعر الجاد في المديح والمناسبات. ⁵¹

47) ابن كثير : اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار التقوى، شبرا الخيمة، 2004م، ج13، ص293
السبكي: طبقات الشافعية، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1906م، ج5، ص136
ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج4، ص326
ابن شاکر : فوات الوفيات، مصدر سبق ذكره ج2، ص179
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، مصدر سبق ذكره ج7، ص679
48) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، مصدر سبق ذكره ج8، ص83، 84
و مطالع البدور، مصدر سبق ذكره ج1، ص90، 91
49) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، مصدر سبق ذكره ج7، ص376
ابن شاکر : فوات الوفيات، مصدر سبق ذكره ج1، ص232
50) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، مصدر سبق ذكره ج7، ص376،
و ابن شاکر : فوات الوفيات، مصدر سبق ذكره ج1، ص232
51) ابن حجر : الدرر الكامنة، مصدر سبق ذكره ج3، ص382
و ابن شاکر الكتبي : فوات الوفيات، مصدر سبق ذكره ج2، ص384

سادسهم: عزازي شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم

ولد سنة "627هـ"، وينسب إلى قرية عزاز، قرب حلب بشمال الشام، وكان أحد شعراء العصر المعبودين، وفي الموشحات خاصة. قدم من الشام إلى مصر، وعمل تاجراً، وله ديوان كبيراً، نقل منه ابن شاكرفي "فوات الوفيات"، وابن تغري بردي في "المنهل الصافي"، وتعددت موضوعات شعره، وإن غلب عليه الغزل والمديح، وله قصيدة في المدح النبوي الشريف، وكان شيعياً.⁵²

سابعهم: مجاهد بن سليمان الخياط

كان يعمل بالخياطة، في مدينة القاهرة، وتعلق بالشعر، وكان من كبار أدباء العوام، لكنه قرأ النحو، وتوفي سنة "672 هـ"، وقد سلطه الله على أبي الحسين الجزار، وقال فيه إن تاه جزاركم عليكم *** بفطنة عنده وكيس

فليس يرجوه غير كلب *** وليس يخشاه غير تيس⁵³

ثامنهم: ابن تولو المصري معين الدين أبو عمر عثمان بن سعيد

ولد سنة "605 هـ"، وتوفي سنة "685 هـ"، وسمع الحديث، وتفقه، وكانت له معرفة بالأدب، وله يد طولي في النظم وشعره، في غاية الجودة، ويروى له بيتان قالهما: عندما أمر قاضي مصر بقطع أرزاق الشعراء، من الصدقات، سوى أبي الحسن الجزار، فقال

تقدم القاضي لنوابه * بقطع رزق البر والفاجر**

ووقر الجزار من بينهم *** فأعجب للطف للتيس بالजार⁵⁴

تاسعهم: الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني

هو ابن الشاعر التلمساني الصوفي، ولد بالقاهرة سنة "661 هـ" / "، ثم انتقل مع والده إلى دمشق، وبقي هنالك حتى توفي عام "688 هـ" / "، وورث الأدب عن والده، وديوان شعره مشهور بين

ابن العماد الحنبلي عبد الحى بن محمد: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار القدسي القاهرة، 1931م، ج 6، ص 27
و الشوكاني محمد بن علي: البدر الطالع، دار المعرفة، بيروت، 1983، ج 2، ص 171
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مصدر سبق ذكره ج 6، ص 251
والمقرئزي: السلوك، ج 2، ص 95 وابن اياس: بدائع الزهور، 17
52) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مصدر سبق ذكره ج 9، ص 214
و المقرئزي: السلوك، مصدر سبق ذكره ج 2، ص 9
ابن شاكرفي: فوات الوفيات، مصدر سبق ذكره ج 1، ص 69 و
53) ابن شاكرفي: فوات الوفيات، مصدر سبق ذكره ج 2، ص 299
و ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مصدر سبق ذكره ج 8، ص 242
54) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مصدر سبق ذكره ج 7، ص 369
و ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، مصدر سبق ذكره ج 2، ص 44

الناس، وكان لأهل عصره افتتان بشعره، وخاصة أهل دمشق، وكان شعره رقيق الألفاظ، سهل على الحفاظ، وأكثر شعره في الغزل، والمداعية، والوصف⁵⁵

سإسهامات علماء النحو والبلاغة في العصر المملوكي

بذل علماء النحو قصارى جهدهم، في هذا العصر، في توضيح مسائل النحو، وتوجيه قواعده، مع عرض الآراء المتناقضة، والموازنة بينها وترجيح أحدها، ونحا بعضهم إلى وضع المتون ونذكر بعض الرسائل:

أولها: مؤلفات جلال الدين السيوطي: له "البهجة المضية في شرح الألفية"، وله "الأشباه النظائر" في النحو، وله "الفريدة في النحو والصرف والخط، والفتح القريب وهو شرح على مغني ابن هشام، والإقتراح في اصول النحو".⁽⁵⁶⁾

ثانيها: مؤلفات جمال الدين بن هشام المصري: ت، "761 هـ" مغني اللبيب عن كتب الأعراب" و"شذور الذهب"، و"قطر الندى وبل الصدي"، و"الإعراب عن قواعد الأعراب"⁽⁵⁷⁾

ثالثها: الفية ابن مالك: مؤلفها ابن مالك، هو جمال الدين محمد ابن عبد الله الأندلسي ت"686 هـ وقد شرحها شمس الدين بن الصائغ محمد بن عبد الرحمن الزمردى ت"777 هـ وأيضاً أكمل الدين البابر تي ت"786 هـ"⁽⁵⁸⁾

كما شرحها ناظر الجيش محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي ولد سنة 697 هـ مهر في العربية وغيرها وحدث وأفاد وكان له في الحساب يد طولى وولي **نظر** الجيش ونظر البيوت والجيش كان عالي الهمة نافذ الكلمة ت"778 هـ"⁵⁹ وشرحها أيضاً جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي ت"777 هـ"⁶⁰

55) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، مصدر سبق ذكره ج7، ص381 و ابن شاکر الکتبی: فوات الوفیات، ج2، ص422
ابن یاس: بدائع الزهور، مصدر سبق ذكره ج، ص159
و المقریزي: السلوك، مصدر سبق ذكره ج، ص750
56) السيوطي: حسن المحاضرة، مصدر سبق ذكره ج1، ص160
57) السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص257
ابن حجر العسقلانی: الدرر الكامنة، مصدر سبق ذكره ج2، ص309
و ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مصدر سبق ذكره ج6، ص192
، الشوكاني: البدر الطالع مصدر سبق ذكره ج1، ص401
58) السيوطي: حسن المحاضرة، مصدر سبق ذكره ج1، ص222.
59) السيوطي: حسن المحاضرة، مصدر سبق ذكره ص201، 220، 222،
ابن شاکر الکتبی: فوات الوفیات، مصدر سبق ذكره ج2، ص452،
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مصدر سبق ذكره، ج8، ص446.
60) ابن الوردی: تاریخ ابن الوردی، مصدر سبق ذكره ج2، ص222،

رابعها: " مفتاح الإعراب: مؤلفها أمين الدين المحلي ت"673هـ⁶¹

سابعاً: . البلاغة

الف السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر ت"626 هـ كتابه الشهير "مفتاح العلوم"⁶² وجاء العصر المملوكي فاشتغل علماءه بالشرح والتفصيل أو الاختصار وعلى رأسهم: جلال الدين القزويني: وهو محمد بن عبد الرحمن بن عمر فلخص كتاب السكاكي في كتاب سماه "تلخيص المفتاح ثم عاد ووضع شرحاً له سماه "التوضيح . وابن منظور الإفريقي : ت"711 هـ له "لسان العرب" وهو معجم لغوى مشهور . وشهاب الدين ابن حجر العسقلاني : ت"852 هـ / "مختصر أساس البلاغة للزمخشري" وشهاب الدين بن عرب شاه : ت "854هـ" له "جلوة الأمداح الجمالية " في حتى العروض العربية وهي قصيدة في العروض⁶³ وأمين الدين المحلي : ت"673 هـ" له "شفاء العليل في علم الخليل"وله "العنوان في معرفة الأوزان وصلاح الدين الصفدي: "نفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهري من الوهم" وهو انتقاد على كتاب الصحاح للجوهري

الخاتمة الحمد لله الذي وفقني لاتمام هذه الورقة والشكر من بعد الله لكل من شجعتني على البحث وصفوة القول أن من أهم نتائج هذا البحث (1) كان في العصر المملوكي الاهتمام بعلم الدين من الأوليات، فيدرس فقه المذاهب الأربعة وأصولها ثم دروس الحديث، والتفسير، والنحو الصرف، والتصوف، والأدب، والطب، والهندسة، والتاريخ، والتقويم، والرياضة (2) إن إنشاء دور التعليم، يعتبر سبباً أساسياً، لتنشيط الحركة العلمية، وتمثل دور العلم، في العهد المملوكي، في: المدارس، والمساجد، وأربطة، وزوايا الصوفية، وكانت إلى جوارها مكاتب صغيرة ومسكن، متواضعة، ملحقة بها، تعنى بتعليم الصبية: مبادئ القراءة، والكتابة، وطرفاً من العلوم الأولية، وتحفيظ القرآن (3) إن سلاطين العصر المملوكي، أقاموا وزناً كبيراً لعلماء الدين كما اهتموا بدور التعليم فاهتموا بديوان الأقباس " الأوقاف " للإشراف على المدارس والجوامع، والمساجد، والربط،، والزوايا، . وكان "ناظر الأوقاف الأهلية" على الخوانق، المدارس، والجوامع، والمقابر (4)) أهتم السلاطين والأمراء باختيار الأساتذة، الذين اشتهروا بالعلم والسيرة الحسنة (5) كان قصارى الطالب، أن يدأب على تحصيل العلم، حتى يأنس في نفسه القدرة، على الفتوى أو التدريس، وكان هذا النوع من التعليم، له عدة مزايا منها: ترك الطالب لميله الخاص، وقدرته الشخصية، ثم يعطى الطالب شهادات شخصية، يمنحها احد كبار

ابن تغربردى: النجوم الزاهرة ، مصدر سبق ذكره ج7 ، ص244 ، و
61 ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب ، مصدر سبق ذكره ج5 ، ص338

(62)

(63)

العلماء، ويشهد فيها بأن الطالب مهر في علم معين، وأصبح أهلاً للفتوى (6) كان يعين لكل مادة مقررة أستاذ، وكان لبعض الأساتذة معيدون، يعاونوهم في عملهم الشاق في عصر المماليك لم تتخذ سياسة تعليمية تتكفل فيها الدولة بنفقات التعليم بل كانت سياسة التعليم فردية وأدى ذلك إلى التنافس بين السلاطين وبين الأمراء لإنشاء أوقافاً (7) زودت معظم المدارس و المساجد، التي أنشأت في هذا العصر بخزانة كتب نافع. وأهم ما نوصى به الاهتمام بتاريخ العلوم على مدى العصور الإسلامية لأنها مقياس للنهضة والانحطاط فتتنصر الأمة باهتمامها بالعلوم وتنهض، وتنحط بإهمالها العلوم خاصة علوم اللغة العربية؛ فعلم الأمة بها يحفظ هويتها وينهض، كما نوصى بصفة خاصة بدراسة الحركة العلمية في العصر المملوكي.

المصادر والمراجع

- * ابن العماد الحنبلي عبد الحى بن محمد 1931م شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار القدسي القاهرة
- * ابن الوردي، عمر بن المظفر 1970م تنمة المختصر في أخبار البشر " تاريخ ابن الوردي "، دار المعرفة، بيروت
- * ابن إياس، زين العابدين محمد بن أحمد ، 1975م بدائع الزهور ، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة
- * ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن 1992م النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية ،بيروت
- * ابن حجر أحمد بن على العسقلاني 1997م الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،دار الكتب العلمية، بيروت
- * ابن دقماق صارم الدين إبراهيم بن محمد 2013م الإنتصار لواسطة عقد الأمصار ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة
- * ابن دقماق :النفحة المسكية في الدولة التركية ، المكتبة العصرية، بيروت، هـ 1420 هـ
- * ابن عبد الظاهر فتح الدين، محمد بن عبد الله : تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، الشركة العربية، القاهرة، 1961م.
- * ابن كثير: اسماعيل بن عمر 2004م البداية والنهاية، دار التقوى، شبرا الخيمة
- * الإدفوي كمال الدين بن فضل جعفر بن ثعلب 1966م الطالع السعيد الجامع أسماء أنجباء الصعيد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة

- * الحجي حياة ناصر 1983م السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، مكتبة
الفلاح، الكويت
- * الخالدي: محمد بن لطف الله 2009م المقصد الرفيع... دار الكتب والوثائق ، القاهرة
- * الذهبي 1962م سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ، القاهرة
- * السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب 1324هـ طبقات الشافعية الكبرى، مصر
- * السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي 1948م معيد النعم ومبيد النغم ، دار الكتاب
العربي، القاهرة.
- * السيوطي: 1967م حسن المحاضر في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
،مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة.
- * الشوكاني محمد بن علي 1983م البدر الطالع ،دار المعرفة ،بيروت.
- * القلقشندی 1963م صبح الأعشى ،دار الكتب المصرية،القاهرة،
- * الصفدي، صلاح الدين خليل 1974م الوافي بالوفيات ،المعهد الألماني للأبحاث الشرقية،بيروت.
- * الغزولي، علي بن عبد الله 1981م مطالع البدور في منازل السرور ، مطبعة دار الوطن، القاهرة
- * المقرئزي : المواعظ والاعتبار، مصر ، 1325 هـ صارم الدين إبراهيم : النفحة المسكية في
الدولة التركية،المكتبة العصرية ،بيروت ، 1999م،